خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

الإلهام بفضل الحج التام

لفضيلة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

الجمعة ٢٠ من ذي القعدة ١٤٤٤ هجرية

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

✍ أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: إن من نعمة الله علينا وفضله ورحمته أن أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ولم يجعل في هذه النعمة نقصانا، فهي نعمة تامة لا تحتاج إلى مزيد ولا تتميم، بنص خبره الصادق:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }[المائدة:3].

فهذا النص من كتاب الله بيان أن الله أتم علينا نعمته، وأننا في نعمة تامة، إذا اعتراها من يعتريها بزيادتها أو نقصانها وأرد شينها وتشويهها، ومن سنن الله سبحانه وتعالى أنه إذا أعطى عباده نعمة أتمها عليهم لكرمه سبحانه كما قال:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)}[النحل:80،81]

فأخبر الله عز وجل عن نعمه علينا، نعمة المساكن بأنواعها، ونعمة الملابس والسرابيل، وما يقي العبد الحر والقر، ثم أخبر أن الله أنعم بها على العباد وأتم نعمته عليهم، لعلكم تسلمون تنقادون لطاعته، وتعبدونه حق عبادته، كقول الله عز وجل:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (22)}[البقرة:21،22]

تعلمون أي أن الله واحد لا شريك له، لا ند له.

وأثنى الله عز وجل على نبيه إبراهيم لاتمام ما أمره به، فإن من سنة الله عز وجل الإتمام، قال الله عز وجل:{وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ} إبراهيم يشفع لذريته{قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}

أي ذرية إبراهيم منهم من يستحق الإمامة، ومنهم من هو ظالم لا يستحق الإمامة، قال : لا ينال عهدي الظالمين، وأصح أقوال المفسرين وأهل العلم في الكلمات المذكورة ابتلى إبراهيم ربه بكلمات: أنها الأوامر والنواهي، أي أمره فأتم، نهاه فأتم، حتى بذبح ابنه أمره أوحى إليه في منامه بذبح ابنه فأتم ذلك{يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)}أتم ذلك إلا أن الله فدى إسماعيل بذبح عظيم:{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104)قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(107)}[الصافات:103،107].

أمره ببناء البيت فأتم ذلك:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)}[البقرة:127].

وفى بكل ما أمره الله سبحانه وتعالى وفى به، وإبراهيم الذى وفى، ولهذا جعله الله أمة، إبراهيم وحده أمة:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121)وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122)}[النحل:120:123].

فكل ما جاء في ذكر إبراهيم تجد فيه أعظم الأوصاف وأجل الأوصاف في الثناء على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أثنى الله عليه بالوفاء، أثنى الله عليه بالاتمام، فإن من مراد الله سبحانه وتعالى من عبده أنه إذا أمره بأمر أن يتم ذلك الأمر بقدر وسعه، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم، ولا يكلف الله العبد إلا وسعه، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فإن الله سبحانه وتعالى كلف العباد بنص القرآن، فما جعل عليهم مشقة، وما جعل عليهم حرجا، وإنما فيما هو في وسعهم، فعلى العبد أن يتم أوامر الله لأن الله رحمه ورفق به، رفيق يحب الرفق، وأكرمه ولا يحصل عنده القصور في أوامر الله بما يعود عليها بالبطلان أو النقصان، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى بعض الناس يتوضؤون ورأى في عقبه شيئا من لم يصله الماء قال عليه الصلاة والسلام :" ويل للأعقاب من النار، وفي حديث عمر أن عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا توضأ فبقي في قدمه شيء قال:" ارجع فأحسن وضوءك، أتم توضأ وضوءا تاما، وعائشة رأت من يتوضأ ويستعجل في وضوءه قالت اسبغ الوضوء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول وذكرت الحديث ويل للأعقاب من النار، وهكذا أبو هريرة، وهكذا عبد الله ابن عمر، وتوالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على التواصي بالاتمام والعناية به، فإنه من مراد سبحانه وتعالى أن الإنسان إذا أمر بأمر أتمه، حتى إذا كاتب أو عاهد لإنسان يتم ويوفي، أثنى النبي صلى

الله عليه وسلم على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته وكان مشركا لأنه وعده فأتم له الموعد ووفى له بالموعد، وأثنى على مصاهرته، يعني أنه رجل وفي، وقال الله عز وجل:{فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)}[التوبة:4].

أمر الله عز وجل أن يتم مع المشركين وإليه ما وفوا فيتم لهم العهود ما لم ينقضوا هم، أتموا شرع الله سبحانه وتعالى، الله يحب من العبد إذا عمل عملا أتمه وأتقنه، فمن حديث عائشة حسن أن النبي صلى عليه وسلم قال:" إن الله يحب إذا عمل عبده عملا أتقنه، إذا عمل العبد عملا أتقنه، يحب من العبد إذا عمل عملا أتقنه، وله شواهد وأصول منها حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال؛"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ.

أمر بالإحسان في كل شيء على كل شيء، وهذا معناه العناية، وله أصول غير هذا أيضا في الإحسان في الصلاة وفي الصفوف والإتقان والتمام، فقد قال عليه الصلاة والسلام:"لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ.

لماذا ؟ لأن عدم تسوية الصف ما هو متقن، صف غير متقن، غير تام، الصلاة ما هي تامة، إذا لم يستوي الصف، كما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنه قال:"سَوُّوا صُفوفَكم؛ فإنّ تسويةَ الصّفِّ مِن تمامِ الصّلاةِ.

معناه : أن الصفوف المعوجة تؤثر على تمام الصلاة، تصير الصلاة ناقصة، ولهذا صارت تسوية الصفوف الخلل فيها من أسباب اختلال القلوب، يخلفن الله بين وجوهكم وبين قلوبكم لحصول عدم العناية في العبادة، وعدم الإتمام لها، وقال صلى الله عليه وسلم:"ألا تصُفّونَ

كما تصُفُّ الملائِكةُ عندَ ربّهم جَلّ وعزّ ، قُلنا وَكيفَ تصفُّ الملائِكةُ عندَ ربّهم ؟ ، قالَ : يتمُّونَ الصُّفوفَ المقدّمةَ ويتَراصُّونَ في الصّفِّ.

وهذا دليل على أهمية الإتمام إتمام الصف الأول، أتموا الصف الأول فالأول فما كانَ من نقصٍ فليَكن في الصّفِّ المؤخّرِ.

وعلى ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا ربى أصحابه على الإتمام في الأعمال، وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"من صَلّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تمامٍ.

وخداج ناقصة، معنى خداج عند أهل اللغة ناقصة، أي أنها صلاة ناقصة غير مقبولة، الله ما يقبل الصلاة إذا كانت ناقصة، ثم قال أبو هريرة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول، هذا حديث الحديث الأول خداج، وأضاف إليه قال الله عز وجل:"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، وذكر الحديث، فهذا يدل على أن صلاة لا تقرأ فيها فاتحة الكتاب غير تامة، خداج غير تمام هكذا في مسلم، وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى من لا يتم صلاته يأمره بالاعادة، اذا لم يحسنها، كما في حديث المسيء في صلاته عن أبي هريرة ورافع، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي لا يحسن صلاته قال: ارجع، أتى وسلم عليه قال ارجع، فصلي فإنك لم تصل، والمرة الثانية كذلك، ثم علمه كيف يتم صلاته ويحسنها حتى تصير صلاة مقبولة تامة، وأمر الله عز وجل بإتمام صيام:{

وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ(187)[البقرة:187].

وإذا أفطر قبل تحلة صومه ولم يتم الصيام إلى الليل عمدا فهذا عرض نفسه لوعيد شديد كبيرة من كبائر الذنوب، فقد ثبت عن أبي أمامة رضي الله عنه عند الحاكم، أن النبي صلى الله عليه وسلم في

منامه قال:" أتاني رجلان فاخذا بضبعي فقال فصعدا بي جبلا وعرا فقال: اصعد قلت: لا أطيقه، قالا : إنا سنسهله لك، قال: فصعدت حتى إذا كنت سواء الجبل سمعت أصواتا قلت ما هذه الأصوات؟ قالوا : عواء أهل النار، قال : ثم انطلق بي فمررت على أناس معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم، فمعناه أنه يستعجل قبل غروب الشمس، ثم أتموا الصيام إلى الليل، فلا يتم صومه فيعرض نفسه لهذا الوعيد الشديد وصومه غير مقبول، لأن الله أمر بإتمام الصيام فمن أفطر قبل تحليل صومه باطل وعرض نفسه للوعيد.

ألا وإن من أجل ذلك لهو إتمام الحج، فإن الحج فريضة الله على عباده، لم تكن فريضة على العبد إلا في العمر مرة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن اللهَ قد فُرِضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا ، فقال رجلٌ : أكلّ عامٍ يا رسولَ اللهِ ؟ فسكتَ حتى قالها ثلاثًا . فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لو قلتُ : نعَم ، لوجبَتْ ولما استطعتُم ، ثم قال : ذَروني ما تركتُكم ، فإنما هلك من كان قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، فإذا أمرْتُكم بشيءٍ فأْتُوا منه ما استطعتُم ، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعُوه.

والشاهد من ذلك أنه في العمر مرة، أجمع أهل العلم أن الحج لا يجب على المسلم إلا مرة في العمر وما زاد على ذلك فالتطوع إلا أن يفرضه نفسه بنذر، وهو ركن من أركان الإسلام، فإذا أخل به الإنسان وأخل بإتمامه أخل بركن من أركان الإسلام، جانب من جوانب الدين لا يكون تاما، {وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ(97)} [آل عمران: 97]

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصّلاةِ وَإِيتَاءِ الزّكاةِ وَالْحَجّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

والشاهد : ركن في العمر مرة، يتطلب ممن عزم على ذلك وهيأ نفسه وفرغ وقته وجهز ماله وعزم على هذه العبادة أن يعتني بإتمامها، فما أراد الله من عبده أن يتم العمل يعتني بإتمامها:{وأتموا الحج والعمرة لله} وهذا شامل لإتمامها بعد الدخول فيها، وعدم الإنفصال عنها حتى يتمها، سواء الحج أو العمرة، فرضا أو تطوعا، لزم إتمام ذلك، وشامل لإتمامها بشروطها وأركانها وسننها واجباتها، فإن الحج منه أركان ومنه واجبات ومنه سنن، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج من جميع جوانبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، والمناسك شاملة لهذا كله، فوجب التأسي به في جميع مناسك، وأن يقيمه الإنسان حجا شرعيا صحيحا على إخلاص ومتابعة، فأي عمل ينشأ على غير إخلاص فهو كسراب بقيعة، وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه، كلام رب العزة سبحانه وتعالى حديث قدسي، فيا عبد الله أتم الحج بإخلاص، أنشئه من أول حين على إخلاص، فإن الحاج قد يكون له من سفره هذا مكاسب فيداخله ذلك حب المكاسب والأعمال والسعي، له من سفر ذلك زيارات فيداخله ذلك حب الزيارات وما كان من ذلك والفسحات والتفسح من هنا إلى هنا، وغير ذلك مما هو عمل مباح لكن صحح نية الحج وما عدا ذلك تبع، لا تجعل هذا أصلا في حجك وفي سفرك وقصدك، تكون النية إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى،{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ(5) [البينة :5]

الدين القيمة أن تقيم العمل والعبادة على إخلاص لله سبحانه وتعالى، صحح عملك، توحيدك ، لا تحج وأنت مشرك لا تحج، عملك إذا عملت عملا أي عمل وأنت مشرك لا يقبل:{وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ(88)} [الأنعام :88]

قال :{لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ(65)} [الزمر:65]

فعلى من أراد الحج حتى يكون حجه مبرورا متقنا تاما أن يتحرى في ذلك ما أراد الله، يجب أن يلازم الإخلاص لله سبحانه وتعالى، اللهم هذه حجة لا رياء ولا سمعة، هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حجة لا رياء ولا سمعة، من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به، وياهول المصيبة الذين يحجون ويحبون أن يروا أنهم يحجون، يحب أن يرى وهو يقبل الحجر، يحب أن يرى وهو في عرفات، يحب أن يرى وهو يدعو، يحب أن يرى وهو يقرأ، يحب أن يرى وهو يطوف، يحب وهكذا، ما القصد من ذلك إلا أنه يريد أن يرى، وللرياء في العمل أن يعمل العمل عبادة ليراه الناس فيحمدوه على ذلك، والشأن أن يقول لهم: أنا فعلت كذا وفعلت، فيجعل هذا الحج كسيرة، يجعله كسيرة في ترجمته، أنه فعل وفعل وفعل، النبي صلى الله عليه وسلم علم أصحابه الأعمال لله وكانوا يستخفون بأعمالهم ليحبون الظهور بها وما ظهر منها جعلوها وهي لله كلها، احرص يا عبد الله احرص على تمام حجك فإنك إذا حججت حجا صحيحا على إخلاص ومتابعة صار مبرورا، مبرورا إذا لم يخالطه معاصي، وأما إذا حججت على بدع على معاصي فسق رفث فسوق إن حجك لا يتم، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من حجه كيوم ولدته أمه. لأن الله فرض الحج في أشهره وأمر بذلك، نهى عن الرفث {ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ(197)} [البقرة:197].

افرض الحج حافظ عليه، حافظ عليه أن يسلب منك، إذا فرضت الحج وإذا عقدت الحج سواء فرضا أو نفلا حافظ عليه، لو في جيبك شيء من الدراهم والنقود تصير حريصا ومحافظا عليها وهي متاع دنيا، هذه عبادة حافظ عليها من أن تسلب منك، يأتي الشيطان فيسلبها منك بوسيلة أو بأخرى، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، الحج المبرور الذي يرجع صاحبه من حجه كيوم ولدته أمه هو الذي لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال فيه ،الذي لا معصية فيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه :" تابعوا بينَ الحجّ والعمرةِ ، فإنّهما ينفِيانِ الفقرَ والذّنوبَ ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ والذّهبِ والفضّةِ وليسَ للحجّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنّةِ.

وقبل ذلك أيضا فيما يتعلق ببر الحج الذي يكون صاحبه يرجع كيوم ولدته أمه جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه حين أراد البيعة مد النبي صلى الله عليه وسلم يده فمسك عمرو بن العاص يده قبض يده قال مالك يا عمرو؟ قال: اشترط، أي أن تهدم أي أن تكفر سيئاتي، قال: أما علمت أن الإسلام ما قبله، وأن الحج يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، الحج المبرور يهدم جميع ما قبله يهدمه، ويرجع صاحبه كيوم ولدته أمه، والمولود ما عليه ذنوب، وهذا إذا كان على إخلاص ومتابعة واقترن بذلك توبة، فيا من تريد أن تهدم ذنوبك صحح التوبة، في سفرك، وفي عملك، تب إلى الله عز وجل قبل الشروع في أعمال الحج، احدث توبة حتى تهدم ذنوبك كلها، فإن كبائر الذنوب وحقوق الآدميين لا يهدمها إلا التوبة الصادقة لأنها مبنية على

المشاحة، الظلم ظلمات يوم القيامة، وتحلل من المظالم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" من كان عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها قبل أن لا يكون درهم ولا دينارا، وقال: فليتحلل منها قبل أن لا يكون إلا الحسنات أو السيئات الحديث... فإن كان له حسنات أخذت من حسناته، أخذوا من حسناته وإلا أخذ من سيائتهم طرحت عليه، فهذا من معاني الحج المبرور أن ترجع من حجك كيوم ولدتك أمك، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وما سبق من الأحاديث، واحذر ايها الحاج احذر أيها المعتمر الرفث وهو الجماع فإنه مبطل للحج، ومقدماته فإنها منقصة للحج، ولا ترجع من حجك كيوم ولدتك أمك، احذر مد البصر إلى النساء، احذر الأذى والفسق في الحج:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ}[النور:30].

فلا تفسد حجك تضيع عليك حجك، لا برفث ولا بمقدماته، لا تبطله ولا تنقصه، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ومن الفسوق تصوير ذوات الأرواح، فإن كثيرا من الناس جواله في يده وهو يفسق، يحج ويفسق في كل شارع، يحج ويفسق في كل منسك، يحج ويفسق في كل شوط، لا إله إلا الله أينك وأين بر الحج، فإن تصوير ذوات الأرواح كبيرة من كبائر الذنوب، وهو انتهاك لحقوق الناس صورهم بغير أذنهم، كبيرة من الذنوب، توعد عليها بالنار،

تخرجُ عنقٌ منَ النّارِ يومَ القيامةِ لها عَينانِ تُبْصِرانِ ، وأذُنانِ تسمَعانِ ، ولِسانٌ ينطِقُ ، يقولُ : إنّي وُكِّلتُ بثلاثةٍ : بِكُلِّ جبّارٍ عَنيدٍ، وبِكُلِّ مَن دعا معَ اللهِ إلهًا آخرَ ، وبالمصوّرينَ.

ما حجة يعارض هذا الوعيد، إلا أخبار فلان وعلان من الناس، أخبار فلان وعلان، وإلا وعيد صريح وحديث صحيح أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، أتريد أن ترجع بحج مبرور وأنت تلحد في حرم الله، والله عز وجل يقول:{وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ(25)} [الحج:25]

إن تصوير ذوات الأرواح في حرم الله والله من الإلحاد في حرمه، والمعاصي في بيته، كل المعاصي كل العظائم والجرائم كلها تعتبر إلحادا في الحرم، هذا فسق يا عباد الله، ومن الفسق سفر المرأة بغير محرم، فهو معصية، ولا يرجع من فعل ذلك أو رضي به كيوم ولدته أمه، فقد أراد رجل أن يذهب الغزو قال يا رسول الله : إني اكتتبت أي في الغزاة وإن امرأتي حاجة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهب فحج مع امرأتك، ونحاه عن الغزو من أجل أن يرافق امرأته، لا يتركها تسافر بغير محرم، فلا يجوز والله أن يؤذن للنساء بالسفر بغير محرم، ولا يجوز لهن ارتكاب ذلك:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ}

قال:{وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}والخلوة ما خلا رجل امرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، وهكذا سائر المعاصي، تجده حاج والدخان في يده، تجده حاج وإذا تحلل من إحرامه ذهب يحلق لحيته، تجده حاج ويا هول المسلمين من مصائبه وأذيته بلسانه بأقواله بعظلاته وزحامه بفتنته، هذا كله فسق، تعلم عبد الله بر الحج فإن النبي صلى الله عليه وسلم علم أصحابه ذلك، أمرهم أن يأخذوا المناسك، يزاحم المسلمين ويؤذيهم،"معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتّبعوا عوراتِهم ، فإنه من اتّبعَ عوراتِهم يتّبعُ اللّهُ عورته ، ومن يتّبعِ اللّهُ عورته يفضحُه في بيتِه.

الشاهد: لا تؤذوا المسلمين :{وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا(58)}[الأحزاب:58]

لازم الرفق، لازم الإحسان في عملك حتى يكون عملك بارا.، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، إذا رأيت من يحتاج إلى إعانة أعنته بقدر مستطاعك، ومن احتاج إلى إنقاذ أنقذته بقدر مستطاعك، ومن احتاج إلى نصح نصحته بقدر مستطاعك، وهكذا تكون عابدا لله سبحانه

وتعالى، لا رفث ولا فسوق ولا جدال، والجدال بغير علم، ولا جدال بما يشغل، ولكن في نشر العلم وفي نصحه في نصح المسلمين وتوجيههم هذا مشروع، يجادلهم بالتي هي أحسن، فلا رفث ولا فسوق، والفسوق بابه واسع في الحج شتى البدع، شتى المخالفات الشرعية، شتى قطع الصفوف على المصلين، شتى الأذية والسباب والشتام، حتى كذلك ترك التحري للمناسك، فإن مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسق، ففسق عن أمر ربه، أي عصى فمخالفة المناسك تعمدا يعتبر فسق يعتبر من الفسق، جميع المخالفات، فإذا أمر بر الحج ليس من السهل، وهناك يزداد بره بالطاعات، بمزيد الطاعات، فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم سألوه ما بر الحج؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام، أي كل ما ازداد عملك الصالح في الحج ازداد بر حجك، وهكذا أبان النبي صلى الله عليه وسلم أن بر الحج العج والثج، العج أي الذكر لله سبحانه وتعالى، تلبي يذكر الله سبحانه:{فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ(198)}[البقرة:198].

وكم حث الله على الذكر، ومن سفره وهو يذكر الله، هذا هو العج والثج، إراقة الدماء بالهدي والأضاحي، وهكذا سواء كان هدي فرض أو كان له سعى أن يتطوع كل ذلك من بر الحج، كل ذلك من الإحسان وفعل الخير الذي قال الله سبحانه وتعالى: وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، هذا هو من بر الحج كما دل عليه خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبر الحج منه ما هو لازم بحيث أنه إذا حصل فيه خلل لا يتم الحج، بل بعضه إذا حصل فيه خلل أبطله وهو كالرفث الجماع، ومنه ما يخل به وينقصه كالنفقة المحرمة، هكذا المعاصي والفسق، قال النبي صلى الله عليه والسلام:"إنّ اللهَ طيّبٌ لا يَقبَلُ إلّا طيّبًا، وإنّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: {يَا أيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]، وقالَ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]، ثُمّ ذَكرَ الرّجُلَ يُطِيلُ السّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السّماء، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!

فاحرص على أن يكون من بر حجك إجابة دعائك، يدعو الحاج دعاءه مجاب، الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه سألوه فأعطاهم، ثلاثة لا ترد دعواتهم دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم، الشاهد من ذلك أنه يحتاج في سفره، يحتاج أن يكثر من الدعاء ومن الذكر إذا صعد مكان كبر، وإذا نزل سبح، حديث جابر رضي الله عنه، وإذا ركب دابته وهو مسافر بداية أمره وهو يقوم بهذه الأعمال كلها من اول أمره إلى نهايته في بر حجه، ويقرأ أذكار السفر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الذي سخّرَ لنا هذا وما كُنّا لهُ مقرنينَ وإنّا إلى ربّنا لمُنقلِبونَ) اللّهمّ إنّي أسألُكَ في سفرِنا هذا البرّ والتّقوَى ومنَ العمَلِ ما ترضَى اللّهمّ هوّن علينا سفرَنا هذا اللّهمّ اطوِ لنا البُعدَ اللّهمّ أنتَ الصّاحبُ في السّفرِ والخليفةُ في الأهْلِ والمال وإذا رجعَ قالهُنّ وزادَ فيهنّ آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربّنا حامِدون.

وإن زاد ذلك: اللّهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور ودعوة المظلوم، فقد ثبت من حديث عبد الله في مسلم، والأول عن ابن عمر، والشاهد من ذلك هذه كلها من بر الحج والمعينات عليه والوقايات من الشياطين وإشعال النفس بطاعة الله سبحانه وتعالى حتى يوفق للأعمال صالحة، بها تهدم ذنوبه ،وبها ترفع مكانته عند الله سبحانه بتلك الأعمال ترفع مكانته عند الله عز وجل.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أما بعد: تفقه يا عبد الله تفقه، تفقه حتى تفهم كيف تعبد ربك، من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله معطي، هنيئا لمن أعطاه الله الفقه في الدين، أراد الله به خيرا، تفقه فيما أنت قادم عليه من أي عمل واجب عليك ذلك، طلب العلم فريضة على كل مسلم، كيف تفهم هذه الأحكام وتتجنب تلك المعاصي والآثام إلا أن تتفقه في دينك، وأيضا ترافق الرفقة الصالحة:{وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا(28)[الكهف: 28].

فأمر الله وحذر ، أمر الله بالاتباع، أمر الله بمرافقة الصالحين والصبر صبر النفس معهم، والحذر من مجالسة السيئين والاغترار بهم وطاعتهم، إذا ابتليت بجلساء سوء في سوء حجك أمكنوك مزاحا، شغلوك هذرا، ضيعوا أوقاتك، فتنوا عليك نفسك، ربما ما ترجع إلا وقد فتنت في عقيدتك، ما ترجع إلا وقد حصل ضيق في قلبك تذهب تريد أن تحط ذنوبك فترجع وقد راكمتها، ترجع بالمزيد بسبب جلساء السوء،مَثَلُ الجَلِيسِ الصّالِحِ والجَلِيسِ السّوْءِ، كمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً.

هذا ضرر عظيم، إذا اراد الله بالعبد شيئا أو قال بالأمير وفي لفظ بالعبد قيض له جليس صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به سوءا أو غير ذلك قال غير الخير قيض له جليس سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه، أكثر من قراءة القرآن في سفرك اكثر من التلبية فإنها توحيد لله كلها، اكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالمعروف وبلا منكر، اكثر من التعاون على البر والتقوى وفعل الخير لتفلح، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، اكثر من الصبر أيضا من الأذى حتى يسلم لك حجك:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ(200)} [آل عمران:200]

وكل خير اسلكه وكل شر اجتنبه واستعن بالله وبدعائه، استعن بالله،{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ(153)} [البقرة:153]

حافظ على الجماعة واحرص على الصلاة في حرم الله قدر مستطاعك بلا أذى لنفسك ولا لغيرك بقدر مستطاعك، فإن الصلاة في ذلك الموضع في حرم الله خير من مئة ألف صلاة، سواء كانت فرضا أو نفلا على الصحيح من أقوال أهل العلم، واحرص على قراءة القرآن، واحرص على الطواف، وقراءة القرآن في بعض الأحوال والعبادة والذكر أفضل من الطواف إذا كان يشق عليك وفيه زحام إن كان تطوعا، واحرص كذلك على التفقه في الدين وزيارة الصالحين وعلى الإخوة في الله والحب في الله والبغض في الله، ولا إقامة عبادتك كلها كل هذا يعتبر من بر الحج.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.